فرضت ظاهرة النار نفسها على جوانبَ مختلفةٍ من حياة الإنسان فى مختلفَ العصور التاريخية، فكان من الضرورى الالتفات لهذه الظاهرة فى الشعر الجاهلى، كأحد الفنون القديمة، التى تأثرت بالدين والأسطورة بشكل مباشر، وكان من الدراسات الحديثة التى خُصِّصَت لهذا الشعر القديم نماذج جذبت نظر الباحث واهتمامه لدراسة هذا الشعر من خلال صورة النار بشكل أسطورى.

ومن أهم هذه الدراسات كتابات الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن عن أصول هذا الشعر وأهميتها فى صوره الفنية، فى كتابيه" بين القديم والجديد، والشعر الجاهلى قضاياه الفنية والموضوعية" وكذلك إشارات الأستاذ الدكتور أحمد كمال زكى فى كتاب " الأساطير"، كذلك ما كتبه الأستاذان فى بعض مقالاتهما بمجلة فصول، كذلك كانت دراسة كل من الدكتور أنور أبو سويلم " المطر فى الشعر الجاهلى" والدكتورة ثناء أنس الوجود " رمز الأفعى فى التراث العربى" ورمز الماء فى الشعر الجاهلى " نماذج يقتفى أثرها في توظيف الأصول القديمة فى تفسير الصور الشعرية

وكانت دراسة أستاذنا الدكتور على البطل " الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى " بمثابة إلمامةٍ شاملةٍ بأطراف هذا المنهج أصَّلته بشكلٍ عام، حيث خصص جزءاً نظرياً من كتابه لمفهوم مصطلح الصورة الفنية ثم حدَّد الأصول الدينية التي تُستمَدُ منها الصورة فى الشعر العربى، ثم انطلق بهذه الدراسة إلى صورة المرأةِ، وصور الحيوان بأشكاله المختلفة " الثور الوحشى، الحمار الوحشى، وصورة الظلِيم، والناقة، والحصان" كما تناول صور المدح والهجاء، والفخر والوصفِ والرثاء، فكانت هذه التعددية فى عرض الصورة المدروسة أكثر فائدة لسعة مساحة تجاربه النقدية وتطبيقها على أكثر من

شريحة فكان من الضروري إفراد بحث يدرس صورة النار في الشعر الجاهلي، ويفسرها تفسيراً " فنياً" يخضع للمنهج الأسطوريِّ الذي يكشف عن الأصول الدينية للصورةِ ليزيل عنها غموضها، حيث لاحظ الباحث أن ظاهرة النار، رغم كثرة ورودِها واستخداماتها الفنية في الشعر الجاهلي، لم تدرس بشكلٍ وافٍ، اللهم إلا بعض الإشارات في صور المرأة والشمس، والثور الوحشي بشكل هامشي.

ومن هنا يأتي هذا البحث المعنون بـ " صورة النار في الشعر الجاهلي"، تفسيراً فنيا لدراسة تلك الصورة بشكل متكامل، وقد جاء هذا البحث في خمسةِ فصول، كان الفصل الأول نظريًا وفيه ناقش الباحث صورة النار من حيث مصادرها وأساطيرهـــا عند العرب وغيـــرهم، وكيفيـــة تسرب هـذه الصـــورة

إليهم ومدى انعاسها على الصورة الشعرية.

وكان الفصل الثاني عن" صورة نار الحرب" في شعر الجاهليين وكيف صُوِّرت بها الحرب، وكذلك سلاحها من سيف ورمح ونبل وخيل، --- إلخ. وكان الفصل الثالث عن " صورة نار الكرم " وقد استعرضت الدراسة الصورة الخيرة لظاهرة النار في خيال الإنسان البدائي، ثم تناولت أنماط نار الكرم وهي : نار هداية الأضياف، ونار القدر، وآثار النار في الأثافي.

وأما الفصل الرابع فقد تناول ظاهرة الاستبشار برؤية البرق عند العرب القدماء، وتمثل النار فيه، والتفاؤل بصورِها المختلفة عند وصفه، كذلك تناول البحث في هذا الفصل طقس الاستمطار لمناقشة ورصد الشعائر السحرية والأسطورية فيه لإثبات ما للعرب من رصيد في هذا الباب. وكان الفصل الخامس في الشكول التي وصفت صورة الإنسانِ متمثلةً في " المرأة"، "والرجل" ثم كانت الجزئية الثانية وهي " التسمية بالنار".

وقد لاقى الباحث عند الشروع فى هذا البحث صعاباً، كان من أبرزها تعدد أشكال صور النار ومعطياتها " كالنور، والنار، والجمر، والدفء، والبرق، والمصباح، والشهاب، والقبس، واللهب --- إلخ " وتداخل صور الكواكب السماويةِ مع صورة النار فى الذهن القديم – المنشئ للشعر المطروح للدراسة-، مما كان سببا فى تعدد صور النار فى النصوص الشعرية عند أكثر الشعراء، في شكل قِطَع صغيرة، كان من الصعب التأليفْ بين أنماطها فى سياق موضوعى محدد، ومما جعلها أيضاًمفتتةُ متشابهة عند كثير من الشعراء، وفى كثير من القصائد، كما حرمها ذلك من توافر لوحات كاملة لها كلوحة الطلل مثلاً، أو لوحة السيل، والحرب، والثور الوحشى. وقد عانى الباحث أيضاً من " غياب المصادر العلمية التى تصنف الأساطير العربية كالمعاجم والدوائر والقواميس بشكلٍ موسوعى، وإن كانت أخبار ميثولوجية قد وردت عن العرب فى بطون كتبنا القديمة، إلا أنها مفرقة أشتاتاً متباعدة يصعب الوصول إليها بسهولة، كما أن الفكَر الميثولوجى لم يكن قد اتضح فى ذهن كتابها من القدماء كعلماء اللغة والمفسرين وكتاب الأدب.

وقد اتبع الباحث المنهج الأسطورى فى رصد هذه الصور الفنية وتحديد أصولها القديمة، ولم تُحرم الدراسة من الاعتماد على مناهج أخرى كالمنهج النفسى والجمالى، حرصاً على موضوعية الدراسة،وجمالية البحث، وهروباً من صرامة المنهج الواحد فى الدراسات الأدبية.

وقد اعتمد الباحث أثناء بحثه على مصادر ومراجع متنوعة بين: التاريخية : وأهمها المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، وتاريخ الحضارات السامية القديمة

لسبتينوموسكاتى .ومنها الأدبية : وأهمها الحيوان ، وبلوغ الأرب، ونهاية الأرب، والأغانى، والبيان والتبيين، ومروج الذهب، وصبح الأعشى، وخزانة الأدب، وكتب تاريخ الأدب : للدكتور طه حسين " فى الأدب الجاهلى "، وبركلمان، وشوقى ضيف، وبلاشير، وعلى الجندى.

والدراسات النقدية والأدبية الحديثة : كان من أهمها دراسات الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد، والدكتور على البطل، والدكتور أنور أبو سويلم، والدكتورة ثناء أنس الوجود، والدكتور مصطفى ناصف، ورسالة ماجستير الدكتور عبد الفتاح محمد أحمد، وقد أفاد الباحث من كتب الأساطير كالفلكلور فى العهد القديم، ومغامرة العقل الأولى، والأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، وأساطير فى أصل النار ويتعذر عرض كل المصادر والمراجع هنا فقد أعد الباحث ثبتاً " للمصادر والمراجع رتبه ترتيباً هجائياً حسب حروف المعجم بأسماء الكتب، ثم خصص جزءاً للدوريات وجزءاً " ثالثاً " للمراجع الأجنبية، واضطر الباحث فى بعض الأحيان إلى الرجوع لأكثر من طبعة للمرجع الواحد، وعلى هذا إن كانت الطبعة التى رجع إليها موحدة فى جميع الرسالة لم يجد داعيا إلى ذكر الطبعة وتاريخها فى هوامش الرسالة، وإذا اضطر إلى الخروج عن هذه الطبعة الموحدة فإنه سيذكر فى الهامش بيانات الطبعة من تاريخ ومكان صدور ودار النشر فى الطبعة التى خرج فيها عن الطبعة الموحدة.

وإن كانت هناك كلمة شكرٍ، فإنها توجه لأستاذي الجليلين: الأستاذالدكتور إبراهيم عبدالرحمن الذي شَرُفْتُ بإشرافه على هذا البحث، وتتلمذت على كتبه ومقالاته كرائد من رواد المنهج الأسطورى فى تفسير الشعر الجاهلى، وكمشرف على العديد من الرسائل الجامعية القَيِّمة فى هذا الاتجاه يشهد له الجميع بأستاذيته وريادته، والأستاذ الدكتور على البطل، الذى ترك بصمته على هذا المنهج فى الشعر العربى فعمق جوانبه، وأثرى بحوثه، وكان لى الملاذ والملجأ كلما أظلمتْ الطريق، وغامت الرؤى، وحلق اليأس، فاحتضن البحث والباحث، ولم يبخل بالنصيحة ولم يمل من التوجيه، وجاد بوقته وجهده غير باخلٍ ولاضنين.

كما أوجه شكرى وعرفانى للزميل الأستاذ باسم يوسف صموئيل الذى قدم لى الكثير من وقته ومجهوده، وقام بترجمة بعض المصادر الإنجليزية ترجمة واعية كان لها أثرها فى إثراء هذا البحث وتعميقه وأخيراً أقدم شكرى لكل من قدَّم عونا أو أَشارَ برأي ، أو أوحى بفكرة أو أعان بنقد.

الباحث